مفكرة

بقلم: غازي

خواطر (متأخرة قليلا) عن الشارع الحقيقي عن العيد غير الحقيقي !

بعيدا عن تناول السياسة او تناولها بصورة غير مباشرة ، سنكتب هذا الاسبوع .. فالموسم موسم اعياد ، ولا بد لنا من ان ننقل بعض الصور عن الاعياد ، وان كانت هذه الصور غير تلك التي اعتاد الناس ان يتوقعوا رؤيتها في مثل هذه المناسبات ، انها صور الوجه الاخر للاعياد

١ ـ العيد والطفل

مع « عجقة » الناس بالاعياد ، والى جانب زحمة الزينات والانوار ، بنفسم الاطفال في بلادنا الى فئة قليلة تتمع بالالعاب والثياب الجديدة والرفاهية . وفئة اخرى كبيرة ، كل عيدها ان تنظر الى هذه الفئة القليلة متفرجة وفي عيونها دمعات محبوسة ، وفي صدورها نهدات مكبوتة .

ومن هذه الفئة الكبيرة ، الطفل سمير الذي دار بينه وبين ابيه الحوار التالي ايام الاعياد :

قال الطفل : لماذا لا تشتري لنا يا بابا ثيابا جديدة والعابا ؟

قال الوالد : ولماذا الثياب الجديدة والالعاب يا سمير ؟

قال الطفل : الناس يقولون ان اليوم عيد ، وهذا فؤاد وسامي وسليم عندهم ثياب كثيرة ، ومع ذلك اشترى لهم اهلهم ثيابا جديدة والعابا ليفرحوا بالعيد ، فلماذا لا تشتري لنا يا ابي ؟

قال الوالد : يا بني ، اهل فؤاد وسامي وسليم عندهم مال كثير .. ونحن ليس لدينا مال نصرفه على هذه الاشياء ..

قال الطفل : ولماذا يا بابا عندهم مال كثير ونحن ليس عندنا ؟ الم تعلمونا ان الله يحب جميع الناس ويرسل الرزق لجميع الناس ؟ لماذا لا يرسل لنا مثل ما يرسل لهم ؟

فاحتار الوالد ، كيف يفهم ابنه انه ابن عامل مسكين لا يكاد يحصل على ما يؤمن له ضروريات الحياة الا بشق النفس ، بينما فؤاد ابوه تاجر وسامي ابوه صاحب مدرسة خاصة ، وسليم ابوه متعهد !.. وتنهد الوالد من اعماقه وقال : يا سمير ، عندما تكبر تفهم السبب يا بني ، اذهب الان الى النوم ..

ولكن الطفل لم يقتنع واخذ يبكي مصرا على شراء الثياب والالعاب !..

٢ ـ العيد والعامل

التقيته في عيد الجلاء صدفة .. كان يذهب الى عمله في معمل القصدير ، فاستغربت واليوم يوم عيد رسمي تحتفل السلطة فيه بجلاء اخر جندي اجنبي ـ كان الاحتلال لا يكون الا بالجنود ـ عن ارض الوطن . تقدمت منه وسالته : اتعمل اليوم ؟ الا تشارك السلطة فرحتها بجلاء الجنود الاجانب ؟

قال : اجل اعمل اليوم .. والفرحة عندي ان بجلو سيطرة رب العمل عن كاهلي !.

قلت : كيف تعمل في الاعياد الرسمية ، وقانون العمل حفظ لك حق التعطيل بهذه المناسبات مع تقاضي الاجر ؟. واذا عملت وجب على رب العمل ان يدفع لك الاجر مضاعفا ..

فقال : رب العمل يجبرنا على العمل في الاعياد ، وبدل ان يدفع لنا الاجر مضاعفا ، كما يقول القانون حسب زعمك ، يحسم اجرها والعيد آت لم نعمل ..

قلت : لماذا لا تطالبون بتطبيق القانون ؟

قال : طالب نفر من زملائي ، فطردهم رب العمل ولم يتحرك احد .. قل لي : ممن نرجو العمل لمصلحتنا ؟ من النائب الفارق في جمع المال بالف طريقة وطريقة ؟ ام من المسؤول عن تطبيق قانون العمل الذي يخالف من رب العمل ؟ ما رايك في ان القليل من العمال مسجلون لدى الضمان الاجتماعي . ومنذ اسبوع اتى مفتش الضمان ، ووصل الى المعمل سيارة رب العمل الذي اتفاه قبل ذلك في مكتبه ، لانه يعلم مسى سيارتي المفتش ! وكان رب العمل طلب في اليوم السابق من العمال غير المسجلين لدى الضمان ان لا ياتوا الى العمل بحجة ان « السفير خفيف » وبقينا نحن المسجلين لدى الضمان للتغطية !..

وجاء المفتش ولم يسالنا اي سؤال ، وشرب القهوة ثم غادرنا بالسلامة !..

سالته : والضمان الصحي ، الا يؤمنه لكم رب العمل ؟

قال : انا اعمل في صهر القصدير .. وهذا عمل ضار بالصحة ، ولكن ما لرب العمل ولصحتنا ؟ فنحن في واد والضمان الصحي في واد . تصور انني اصهر يوميا حوالى ٣٥ كلغ قصدير ، يبيع رب العمل الكيلو الواحد بسعر يتراوح بين ١٢ و ١٥ ليرة في حين لا يتعدى مجمل تكاليف الكيلو الواحد ثلاث ليرات ، وقل خمس ليرات ..

قلت : كم يدفع لك شهريا .

قال : ٣٠٠ ليرة لانني امضيت سنوات طويلة في هذه المهنة .

قلت : اذن ، في اضعف الحالات ، يربح رب العمل من عملك وحدك ٣٥٠ ليرة يوميا اي اكثر مما يدفع لك شهريا ! ومع ذلك لا تحصل منه على ضمان صحي !!

قال : نحن بالنسبة لرب العمل الات ، ياخذ منا اقصى ما يستطيع ويعطينا اقل ما يمكن ، وبرمينا ساعة لا نعود نصلح ..

ثم سالني ، وابتسامة هزء على ثغره : ترى ماذا يعني لي عيد الجلاء في مثل هذه الحالة ؟

٣ ـ العيد وابن الريف

قبل عيدي الميلاد وراس السنة وبعدهما بقليل تكثر بين اللبنانيين سهرات الذين « يجربون حظهم » .

ويلاحظ المرء ان هذه العادة ، عادة المقامرة في هذه المناسبات ، تنتشر اكثر فاكثر سنة بعد سنة ..

وقد انتشرت بين طلاب الجامعات ، والموظفين وجميع فئات العاملين .. ووصلت الريف وتفشت فيه بشكل يتزايد يوما بعد يوم ..

ابناء الريف الذين يفترض انهم اصفى من الذين طحنتهم عيشة المدينة بمفهومها التجاري في كل مناحي الحياة ، فاصبحت علاقاتهم الاجتماعية تبنى على المنفعة، وتفكيرهم مطبوع بطابع الفردية والانانية والكسب باية وسيلة . المهم ان تكسب وليس المهم كيف تكسب ، هذا هو شعار العقلية التجارية التي تعدت قطاع التجارة لتصيب جميع القطاعات بفضل المفاهيم التي يكرسها هذا النظام السمسار ..

ابناء الريف الذين بدأوا يتخلقون بالاخلاق التجارية بعد ان وصلتهم وسائل الرفاهية المزعومة بالتقسيط ، بدأوا ايضا ينفمسون في القمار .. لماذا ؟

المعروف ان الطبقة السائدة تطبع المجتمع بايديولوجيتها ، وتفرض فيه عاداتها وتقاليدها . فغدا ابناء الطبقات الفقيرة ، ومعظم ابناء الريف فقراء ، يسعون جهدهم للتصرف كالبرجوازيين في حياتهم اليومية ، في ماكلهم ومشربهم ولباسهم .. وطبيعي ان يمتد ذلك الى عاداتهم وتقاليدهم ..

البرجوازيون ، طاولات القمار لديهم كطاولات الطعام منتشرة بل اكثر فقد ياكلون السندويش ولكن لا يضيعون وقت المقامرة ..

وهكذا ، وتشبها « بالذوات » اصبح ابناء الريف « يجربون حظهم » مع الاعياد وراس السنة ، كان احداث السنة القادمة تعتمد على التبصر والتنجيم ومدى الربح في القمار او الخسارة !

ومن بدا هاويا هذه السنة ينتهي مدمنا في السنة القادمة .. وهكذا نرى الانتشار المتزايد للمقامرة ، وعلى حساب قوت الاطفال ، كما حصل في هذه القرية القريبة جدا من بيروت ، لبائع الزيت الذي اشترى بضعة ارطال من الزيت دينا ليبيعها فيربح منها ما يؤمن الضروريات لاطفاله ، ثم يقوم بتسديد ثمنها بعد البيع ، ولكنه قبل ان يبيع الزيت جلس « يجرب حظه » في العيد مع ابناء قريته فخسر ما في جيبه من ليرات قليلة ، ثم بدأ يقامر بالزيت حتى خسره كله ، فما وفى ثمنه ولا اطعم اطفاله !

وهنا لا بد ان نتساءل : انتشار هذه العادة ، من يخدم ؟

المثقفون ، العمال ، الفلاحون ، جميع الكادحين ، هؤلاء متى انغمسوا في المقامرة ، ماذا يفعلون ؟؟

انهم يبتعدون عن التفتيش على حل علمي لمشاكلهم ، انهم يدمنون عادات تودي بهم الى الهاوية ، وتبعدهم عن وعي حقائق هذا النظام ، وبالتالي يبعدهم عن العمل على تغييره .. ان تعاطي هذه العادات ، والمخدرات في عدادها ، يعتبر صمام امان للنظام ، لانه لو اجتمع اهل القرية بمناسبة راس السنة وبحثوا امورهم ومشاكلهم وماذا تحقق من مطالبهم في العام المنصرم ، وماذا لم يتحقق ، وكيف سينتزعون حقوقهم من حكامهم ومستغليهم : لو فعلوا ذلك لتسارعت عملية الوعي والنضج السياسي بين لتسارعت عملية الوعي والنضج السياسي بين الجماهير ولاقتربت بذلك اكثر فاكثر ساعة انهيار النظام على رؤوس حارسيه !

وهنا لا بد ان يكون من واجب الثوريين الواعين ما يكمن وراء اغراق المواطن ، ولا سيما الجيل الجديد ، في القامرة والمخدرات والجنس ولعبث ، من واجب الثوريين ازاء كل هذا ان يكونوا القدوة في سلوكهم وان يشنوا حملة عنيفة ضد هذه العادات لا سيما بين ابناء الريف الذين ينقلب كثير منهم الى مقامرين تدريجيا مع ما لذلك من انعكاسات سيئة على مجمل حياتهم .

وبذلك ، بمحاربة هذه العادات ، وبنشر الوعي السياسي واستغلال كل مناسبة لذلك ، نفوت على الفئة المسيطرين فرصة الهاء المواطن وتخديره ونقرب يوم سحق هؤلاء المتامرين على مصيرنا ومستقبلنا ..

لفظة ! ـ

« ... ان انتقاء اعضاء الحزب ، على اساس من **الصرامة القصوى** ، من حيث درجة **الوعي الطبقي والاخلاص المطلق** لقضية الثورة ، يجب ان يقترن **بالاندماج الكامل** للحزبيين في **حياة الجماهير الموجوعة والمكافحة** ، وكل محاولة لانجاز شق واحد من هذين المطلبين المترابطين لا بد ان تنتهي **بتحجر عصبوي** للجماعات التي تتألف حتى من ثوريين اصيلين مخلصين ، وهنا يكمن اساس النضال الذي خاضه لينين ضد **مرض اليسارية** .. »

جورج لوكاش
من : « لينين »